مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ تيموثاوس ٣: ١٠–١٥)

يا ولدي تيموثاوسَ إنَّك قدِ استَقْرَيتَ تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبَّتي وصبري* واضطهاداتي وآلامي وما أصابني في إنطاكيةَ وإيقونيةَ ولِستَرةَ. وأيَّةَ اضطهاداتٍ احتَملتُ وقد أنقذني الربُّ من جميعِها* وجميعُ الذينَ يريدونَ أن يعيشوا بالتقوى في المسيحِ يسوعَ يُضطَهدون* أمَّا الأشرارُ والمُغوُونَ من الناسِ فيزدادونَ شرًّا مُضِلّينَ ومُضَلّين* فاستمرّ أنتَ على ما تعلَّمتَهُ وأيقنتَ بهِ عالِماً مِمَّن تعلَّمتَ* وأنَّك منذُ الطفوليَّةِ تعرفُ الكتُبَ المُقدَّسةَ القادِرةَ أن تُصيِّرَكَ حكيماً للخلاصِ بالإيمانِ بالمسيحِ يسوع.

الإنجيل

(لوقا ١٨:١٠–١٤)

قال الربُّ هذا المثَل: إنسانان صعِدا إلى الهيكلِ

التواضع

يشدِّد آباء الكنيسة القديسون على أن التواضع هو أول الفضائل المسيحية. هذه الفضائل التي بها يتوطد بناء بيت ملكوت السموات. لذا فإن القديس يوحنا الذهبي الفم يقول: «التواضع هو أساس الفضيلة وكل شيء يحصل بفعل النعمة». والقديس إسحق السرياني يقول: «باقتناء التواضع يمكن اقتناء الفضائل كلّها». وأيضاً «طوبى لمن اقتنى التواضع لأنه يغمر حضن يسوع ويقبّله في كل لحظة».

في المقابل، يُعلّم هؤلاء الآباء أن الكبرياء هي أول الشرور وأعظمها وهي سبب هلاك العالم كلّه. الملاك، بسبب كبريائه سقط من السماء وصار شيطاناً مع انه لم يكن هكذا قبلاً كما أوضح الرسول بولس: «لئلاَّ يتصلَّفَ فيسقُطَ في دينونةِ إبليسَ» (١ تيمو ٣:٦). الإنسان الأول أراد أن يكون إلهاً مستقلاً عن الله فتكبر وابتعد عن نعمته.كتب القديس إسحق السرياني: «الكرامة والكبرياء كانتا في البدء علة سقوط آدم بواسطة الحية، ولا زالت الحية إلى الآن تستعمل وسيلتها وهي مختبئة في القلوب لتهلك جنس المسيحيين ولتطرح النفس في الجحيم. لذلك اتخذ المسيح صورة عبد، وغلب الشيطان بالتواضع ليعلمنا طريق النصر». هذا يذكرنا بما قاله القديس أنطونيوس: «رأيتُ فخاخ العدو منبثة في الأرض كلّها فقلت متنهداً: تُرى من يسلم منها؟ فسمعتُ صوتاً يجيب: المتواضعون». إن فخاخ العدو منبسطة على الأرض لإقامة العوائق في وجه الإنسان. العدو يحاول أن يمنع الإنسان من السير في طريق الرب ويلجأ إلى تقييده وأسره واستعباده والاستيلاء عليه فيخلق للإنسان هموماً لا ضرورة لها ليفقد حريته. لذا فإن ترتيلة الشاروبيكون في القداس الإلهي تحث الإنسان على طرح كل هم أو اهتمام دنيوي. الإنسان المتواضع هو الإنسان العميق الذي ينزل إلى أسفل ولا ينجرف في هموم هذه الحياة وملذاتها.

إذاً بالكبرياء سقط الإنسان وبالتواضع عاد إلى حضن الله بواسطة الرب يسوع آدم الجديد. لكن ماذا علّمنا الرب يسوع؟ يقول في إنجيل متى: «احمِلوا نِيري عليكم وتعلَّموا مني، لأنّي وديعٌ ومتواضعُ القلبِ، فتجدوا راحةً لنفوسكم» (متى ١١:٢٩).ربَّ سائل يقول ماذا فعل؟ الله

العدد ٨/٢٠٠٥

الأحد ٢٠ شباط

أحد الفريسي والعشار

تذكار أبينا الجليل في القديسين لاون أسقف قطاني

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الخامس

ليُصلّيا أحدُهما فرّيسيٌّ والآخرُ عشَّارٌ* فكان الفريسيُّ واقفاً يصلّي في نفسهِ هكذا أللّهمَّ إنّي أشكرُكَ لأنّي لستُ كسائرِ الناسِ الخَطفةِ الظالمين الفاسقين ولا مثلَ هذا العشّار* فإني أصوم في الأسبوعِ مرَّتيْنِ وأُعشِّرُ كُلَّ ما هو لي* أمَّا العشَّارُ فوقفَ عن بُعدٍ ولم يُرِدْ أنْ يرفعَ عينيهِ إلى السماءِ بل كان يقرَعُ صدرَهُ قائلاً أللَّهمَّ ارحمني أنا الخاطئَ* أقول لكم إنَّ هذا نزَلَ إلى بيتِهِ مُبرَّراً دون ذاك. لأنَّ كلَّ مَن رفعَ نَفسَهُ اتَّضعَ ومَن وَضَعَ نفسَهُ ارتفعَ.

تأمل

باطل كل نسك، كل صوم، كلُ طاعة، كلُ هجر للمقتنيات، كل غزارة تعليم، إذا كان فاقداً تواضع الرأي. فكما أن التواضع هو بدء وكمال الصالحات، كذلك التعاظم بالفكر هو بدء الشرور ونهايتها. وهذا الروح النجس متعدد الأنواع والصور. لذا فهو يجتهد في أن يتسلّط على الجميع كما انه ينتصب فخاً لكل ذي مهنة. فالحكيم يتكبَّر بالحكمة والقوي بالقوة، والغني بثروته، والمليح الابن لم يُعلِّم بالكلام، بل بالأعمال والحق لذلك يقول الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس «ومتى أُخضِعَ لهُ الكلُّ فحينئذٍ الابنُ نفسُهُ أيضاً سيخضعُ للذي أخضعَ لهُ الكُلَّ كي يكونَ اللهُ الكلَّ في الكُلِّ» (٢٨:١٥) أي ان الرب أخضع كل شيء فيه لله، تواضع، «أخلى نفسَهُ آخذاً صورةَ عبدٍ صائراً في شِبهِ الناس... وضعَ نفسهُ وأطاعَ حتى الموت موت الصليب، لذلكَ رَفَّعهُ اللهُ أيضاً وأعطاهُ اسماً فوقَ كُلِّ اسمٍ لكي تجثوَ باسم يسوعَ كلُّ رُكبةٍ» (في ٢:٧–٩). هذا يعني أن يسوع نزل واتضع وصار إنساناً مثلنا وتجرد من ذاته حتى الموت، موت الصليب ليُخلِّصنا. وكما رفعه الله سيرفعنا إذا عشنا تواضعه وأطعنا حتى الموت. «تواضعوا تحتَ يدِ اللهِ القويَّةِ لكي يرفعكم في حينه» (١بط ٦:٥). إذاً الرب يسوع هو مثال التواضع لكل إنسان يريد أن يسير مع الله، أن يحتمل بفرح إهانات الناس وسخريتهم، أن يرذل مديحهم ويقبل كل إنسان مخلوق على صورة الله. يقول القديس سلوان الآثوسي: «... أما الذي بلغ إلى تواضع المسيح فيتوق باستمرار إلى أن يبكّت ذاته. يقبل بفرح الإساءات ويحزنُ عندما يعظمونه، ويحسب ذاته أسوأ الكل ويفرح بأن يرى الناس، بالروح القدس، مضيئين ومشابهين للمسيح».

الإنسان المتواضع لا يدّعي أنه خاطئ إذا لم يشعر بالخطأ في أعماقه: «إن حقرتَ ذاتك لكي يكرمك الناس فالرب يفضحك» (القديس إسحق السرياني). التواضع الحقيقي هو الذي يجعل الإنسان يتحرَّر من هموم هذا العالم فيكون في حالة الثقة والاطمئنان ويشعر بالله الحي فيه فيتشدَّد به مبتعداً عن أي ظهور شخصي وطالباً فقط مجد الله. التواضع الحقيقي يقوم على صورة الصليب عينه. لقد صُلب الرب يسوع بتواضع كبير: في وداعة وانسحاق وصبر. الإنسان المتواضع هو الإنسان الذي ينكر نفسه فيتضع لأن فيه نعمة الله ومحبته المضطرمة. لذلك التواضع هو سر عطاء الذات بدافع المحبة: «لأنَّهُ هكذا أحبَّ اللهُ العالمَ حتى بذلَ ابنهُ الوحيدَ لكي لا يهلِكَ كلُّ من يؤمنُ به بل تكون لهُ الحياةُ الأبديَّةُ» (يو ١٦:٣) و«ليس لأحدٍ حبٌّ أعظمُ من هذا أن يضعَ أحدٌ نفسَهُ لأجلِ أحبائِهِ» (يو ١٣:١٥). لذا يقول المغبوط أغسطينوس: «هذا التواضع هو علامة المسيح» أي تواضع ابن الله، تواضع المحبة. إذاً لا بد للإنسان المؤمن أن يتبع طريق هذا التواضع «الجديد» لكي يمارس وصية المحبة الجديدة «بكلِّ تواضعٍ ووداعةٍ وبطولِ أناةٍ محتملينَ بعضُكم بعضاً في المحبَّة» (أف ٤: ٢). دعوة الإنسان اليوم أن يعيش التواضع لكي ينمو في الروح وكلما نما في النعمة ازداد انسحاقاً وتواضعاً. لقد علّمنا الرب على لسان الرسول بولس أن ثمر الروح محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف (غلا ٢٢:٥–٢٣). طالما الإنسان يحيا بالروح وينمو فيه تنمو النعمة وهكذا التواضع. ألا جعلنا الله مستحقين أن نسمع صوت المسيح يقول لنا: طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات (متى ٣:٥).

الغضب

«اغضبوا ولا تخطئوا، والذي تقولونه في قلوبكم تندَّموا عليه في مراقدكم» (مز ٤:٤).

الغضب هو ذلك الإحساس بالغيظ والسخط الذي يعتمرنا كردة فعل على حديث أو حدث معيَّن، فيحس الإنسان بنار تتأجج فيه فيشتعل الإنسان ويحمى غضبه. هو آفة خطرة وينصح

الوجه بجماله، والخطيب بخطابته، والحسن الصوت بحسن صوته، والحاذق في صنعته بحذقه، والحسن التصرّف بحسن تصرّفه. وكذلك ما يطرأ من تجارب للروحانيين فهو يمتحن المتواضع بالطاعة أي يجعله يفتخر بطاعته، والممسك بالامساك، والصامت بالصمت، والعديم المقتنيات بهجر القنية، والمتعلّم بسرعة تعلّمه، والمتخشّع بحسن التخشع، والعالم بالعلم. فالمعرفة الحقيقية مقترنة بالتواضع.

ان روح الكبرياء حريص على أن يزرع في الجميع زؤانه. ان الرب قد عرف رداءة هذا الهوى وأنه يُفسد أي إنسان كائناً ما كان عمله إذا ما تأصّل فيه. لذلك أعطانا التواضع سلاحاً عليه قائلاً: «إذا فعلتم جميع ما أُمرتم به فقولوا اننا عبيد بطالون إنما فعلنا ما كان يجب علينا فعله» (لو ١٧: ١٠) فلِمَ نستدعي إلى نفوسنا الخفّة وفساد الذهن مع ان الرسول يقول: «إن ظن أحد أنه شيء وهو ليس بشيء فقد غرَّ نفسه. فليختبر كل واحد عمله وحينئذ يكون

الكتاب المقدس بالابتعاد عنه: «فاطرَحوا عنكم أنتم أيضاً الكُلَّ الغَضَبَ، السَّخَطَ، الخُبْثَ، التجديفَ، الكلامَ القبيحَ مِنْ أفواهِكم» (كو٣: ٨)، «فإنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ القلبِ يتكلَّمُ الفمُ» (متى ١٢: ٣٤). الإنسان الغضوب هو ذاك الإنسان الذي أظلم قلبه ولم يعد من مكان للمحبة في قلبه: «المحبةُ لا تُقبِّحُ ولا تطلُبُ ما لِنفسِها ولا تحتَدُّ ولا تظنُّ السوءَ... وتصبِرُ على كلِّ شيءٍ» (١كور ١٣: ٥و٧).

الرب يسوع وفي معرض إعطائه للوصايا الجديدة يقول: «قد سمِعتُم أنَّهُ قيلَ للقُدماءِ لا تقتُلْ، ومَن قتلَ يكونُ مُستَوجِبَ الحُكمِ وأمَّا أنا فأقولُ لكم إنَّ كُلَّ مَنْ يَغضبُ على أخيهِ باطلاً يكونُ مُستوجِبَ الحُكمِ» (متى ٥: ٢١–٢٢). إذاً الغضب بحسب تعليم الرب مساوٍ للقتل، لأن الإنسان الغاضب يمحو الآخر معنوياً، بل وقد يجره غضبه إلى ارتكاب المآثم: «الرَّجُلُ الغضوبُ يُهَيِّجُ الخِصامَ والرَّجُلُ السَّخوطُ كثيرُ المعاصي» (أم ٢٩: ٢٢)، و«السَّريعُ الغَضَبِ يَعمَلُ بالحَمَقِ» (أم ١٤: ١٧).

إذاً مشكلة الغضب الأساسية انه، مثل باقي الشرور، يهيء لخطايا أخرى ويستدعيها. الإنسان الغضوب يميل بسرعة إلى الشتم والضرب والإهانة وقد يصل به الأمر إلى القتل في بعض الأحيان. والمقصود هنا القتل الجسدي والقتل المعنوي للآخر: «كلُّ مَنْ يُبغِضُ أخاهُ فهوَ قاتِلُ نَفس. وأنتم تعلمونَ أنَّ كُلَّ قاتِلِ نفس ليسَ لهُ حياةٌ أبديَّةٌ ثابتَةٌ فيه» (١يو ٣: ١٥). هذا التحذير من نتائج الغضب أو مما ينتج عنه من تصرفات خاطئة يعم الكتاب المقدس. أوضح كلام بهذا المعنى نجده لدى الرسول يعقوب: «إذاً يا إخوتي الأحبَّاءَ لِيكُنْ كُلُّ إنسانٍ مُسرِعاً في الاستماعِ، مُبطئاً في التكلُّمِ، مُبطئاً في الغَضَبِ، لأنَّ غَضَبَ الإنسانِ لا يصنعُ بِرَّ اللهِ» (يع ١: ١٩–٢٠). كل هذا التحذير لأن الله لا يشاء موت الخاطئ: «لأنَّ اللهَ لم يجعلنا للغضبِ بل لاقتناءِ الخلاصِ بربنا يسوعَ المسيحِ» (١تسا ٥: ٩).

ينصح الكتاب بالابتعاد قدر المستطاع عن الغضب وضبطه لئلا يجد الشيطان باباً يدخل منه إلى قلوبنا: «اغضبوا ولا تُخطئوا. لا تَغرُبِ الشمسُ على غيظِكم ولا تُعطوا إبليسَ مكاناً» (أف ٤: ٢٦–٢٧). كما ينصحه بتعلّم ضبط الغضب وتمالك الانفعالات: «البطيءُ الغَضَبِ خيرٌ مِنَ الجبَّارِ ومالِكُ روحِهِ خيرٌ مِمَّنْ يأخُذُ مدينَةً» (أمثال ١٦: ٣٢). أمّا كيف ننقذ أنفسنا من الغضب أو كيف نبعد الغضب عن فكرنا وروحنا فبمقدار ما نحب الله ونلتصق به ونسعى لعيش محبته، بهذا المقدار نستطيع أن نتخلّص يوماً بعد يوم من آفة الغضب. يجب أن نصلّي إلى الله بحرارة أن يبث فينا الوعي بأنه حاضر في كل إنسان حولنا، واننا إذا ما أخطأنا تجاه أي إنسان فإنما نُخطئ إلى الله. ما يجب أن نكرهه في الشخص الآخر هو الخطيئة الموجودة فيه، ونغضب على الأعمال التي يقوم بها، لا أن نكرهه هو كإنسان. في النهاية، مَنْ منَّا بلا خطيئة؟ لقد كان الله يغضب في الكتاب المقدس على الشعب العبراني والوثني بسبب الخطايا التي يرتكبونها. هكذا نرى موسى يحذر الشعب «لأنَّ الرَّبَّ إلهَكم إلهٌ غيورٌ في وسَطِكم لِئلاَّ يحمى غضبُ الرَّبِّ إلهِكم عليكم فيُبيدكم عن وجهِ الأرضِ» (تث ٦: ١٥)، لكنه أيضاً يعزّي ويشدّد بقوله: «يرجِعِ الرَّبُّ من حُمُوِّ غضبِهِ ويُعطيكَ رحمةً. يرحَمُكَ ويُكثِرُكَ كما حلَفَ لآبائِكَ إذا سمِعتَ لصوتِ الرَّبِّ إلهِكَ لتحفَظَ جميعَ وصاياهُ التي أنا أوصيكَ بها اليومَ لِتعملَ الحقَّ في عيني الرَّبِّ إلهِكَ» (تث ١٣: ١٧–١٨).

افتخاره من جهة نفسه لا من جهة غيره» (غلا ٦:٣-٤) ولِمَ نخادع ذاتنا ويفتخر بعضنا على بعض بأنه شريف من أشراف العالم فنحتقر الأدنى؟ ان الرب يعلم بأن الحظوظ الرفيعة عند الناس مرفوضة لدى الله. أو لِمَ نتعالى على الأضعف فينا لكوننا مُمسكين أي صائمين؟ أو لِمَ نتعظم، لكوننا صائمين، على المجاهدين في الخدمة؟ ان ابن البشر لم يأتِ ليُخدم بل ليَخْدُمَ وليبذل نفسه فداء عن كثيرين (متى ٢٠:٢٨). فإنه ينبغي في كل أمر أن يُقصى التكبّر بالفكر.

ألأننا جالسون في مكان هادئ نتشامخ؟ ولكن ماذا ينفعنا المكان إن لم نكن نعمل بتواضع؟ فالرسول يقول: «ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى، بل إلى التي لا ترى. لأن التي ترى وقتية وأما التي لا ترى فأبدية» (٢ كور ٤:١٨). أم لأننا نسكن في جبّ أو مغارة ننتفخ؟ فهذه علامات الموت وعدم الاهتمام بالأمور الأرضية. فلا يكن ما اخترته لذاتك سبيلاً لنهج الفضيلة دربـاً للسقوط في الكبرياء.

القديس افرام السرياني

هذا الكلام يقودنا للحديث عن «الغضب النافع»، حتى ان القديس باسيليوس يسمّيه «الغضب المقدس» ويميِّز بينه وبين «الغضب الشرير» الذي يُحرِّك في النفس الرغبة بالانتقام. لكنه يحذِّر من سهولة الانتقال من المقدس إلى الشرير، ويدعو إلى الاعتدال. الغضب النافع بالنسبة له هو الذي يكون لإصلاح الآخر وليس بدافع البغض. يقول: «إننا نغضب أحياناً على أولادنا ولكن لا أحد يبغض أولاده... هَبْ ان ولداً أراد أن يلعب في مياه النهر الجاري، إن رأيته وتركته فأنت أبغضته، لأنك بعملك هذا تسبِّب له الموت، فكم هو أفضل أن تغضب عليه وتؤدبه أو لا تغضب عليه ويموت». هكذا أيضاً في الأمور الروحية، يجب أن يؤدب الإنسان الشخص الخاطئ ليبعده عن الموت الحقيقي. الرب يسوع عندما رأى ما يحصل في الهيكل من تجاوزات غضب وصنع سوطاً وطرد الجميع من الهيكل لأنه «مكتوبٌ بيتي بيتَ الصلاةِ يُدعى وأنتم جعلتموهُ مغارةَ لصوص» (مت ٢١:١٣، راجع يو ٢:١٤-١٦). ما يهم يسوع هو خلاص هؤلاء.

إذاً، هناك غضب مبارك شرط أن لا يترافق مع الكره والافتراء، وأن لا يدفع صاحبه إلى الخطيئة. هكذا نفهم تحذير الرب «إنَّ كُلَّ مَنْ يغضَبُ على أخيهِ باطِلاً يكونُ مُستَوجِبَ الحُكْمِ» (مت ٥:٢٢)، وتحذير الرسول بولس: «اغضَبوا ولا تُخطِئوا» (أف ٤: ٢٦). المهم أن لا نغضب باطلاً، أي بدون سبب جوهري إنما بهدف خلاص هذا الآخر. يقول كاتب سِفْر الأمثال «لا تمنعِ التأديبَ عَنِ الولدِ لأنَّكَ إن ضربتَهُ بعصا لا يموتُ. تضرِبُهُ أنتَ بعصًا فتُنقِذُ نفسَهُ من الهاوِيةِ» (أم ٢٣: ١٣ و١٤). وأما الآن إذ قد دخلنا العهد الجديد الذي فيه صار الكلمة جسداً وحلَّ فينا، فإن كلمته الموجودة في الكتاب هي التي تؤدبنا وتربينا والتي ينبغي أن نستعملها في حين غضبنا: «كلُّ الكتابِ هوَ موحًى به من اللهِ ونافِعٌ للتعليمِ والتوبيخِ للتقويمِ والتأديبِ الذي في البِرِّ» (٢ تيمو ٣:١٦) المهم أن نقود الإنسان نحو معرفة الحق، «والحق يحرِّره».

من أقوال الآباء

طوبى للإنسان الذي لا يسرع إلى الغيظ ولا يقبل غضباً فإنه يكون في السلام كل حين، وقد أقصى عنه روح الغضبة الساخطة ونجا من الحرب والاضطراب. فإنه يكون هادئ الروح كل حين ومسرور الوجه. لا يغضب سريعاً. لا يهيج من الكلام الفارغ بينما يجري العدل والصدق. يلقي القبض بسهولة على المتخاصمين، ويحتمل دون مشقة اللاذعين بألسنتهم. لا يفرح بالمخاصمات ولا يرتكب ظلماً، لأنه يبدو متودّداً إلى الجميع غير غضوب. لا يُسَرّ بحرب الكلام، ولا يقترف جوراً. من لا يقبل سريعاً روح الاحتداد يصر مسكناً للروح القدس ومن لا يحتد يغبط الروح القدس وهو يستطيع أن يكون وديعاً ويكنه أن يتصف بالمحبة والصبر والتواضع. الفاقد الغضب قد تزين بكل عمل صالح ويحبه المسيح. من طرد عنه دائماً روح السخط والغضب يكون جسمه وعقله ونفسه معافاة صحيحة في كل حين.

القديس افرام السرياني

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb